

برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى غلاطية الحلقة الثامنة عشرة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديماً على كلمه النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علم به بعض المعلمين من أصل يهودي.

فردّ عليهم الرسول بولس مؤكداً أن الإنسان يتبرر بالإيمان بالمسيح فقط، وأن موعد الله لإبراهيم الذي تبرر بالإيمان قد تمّ بمجيء المخلص المسيح. واعتبر بولس أن عهد الناموس كان عهداً شرطياً ومؤقتاً. وكشف أنه في الوقت المعين أرسل الله المسيح. ثم تحدث عن جارية إبراهيم الخليل هاجر وزوجته سارة، وكيف كانا يرمزان إلى عهد الناموس وعهد النعمة. وأراد الرسول بولس بكشفه هذه الحقائق الروحية الهامة، أن يبين الفرق الكبير بين عهد الناموس وعهد النعمة بواسطة المخلص المسيح، وليؤكد أن المؤمن بالمسيح ليس بحاجة لكي يعمل بفرائض الناموس ووصاياه. لا سيما، كما أوضح الرسول بولس أنه بعد مجيء المخلص المسيح، لم يعد اليهود أصحاب عهد الناموس باستطاعتهم أن يرثوا بركات الله، وانتقلت بالتالي كل المواعيد بالبركة إلى المؤمنين بالمخلص المسيح.

ثم دعا الرسول بولس مع بداية الأصحاح الخامس، المؤمنين لكي يثبتوا في الحرية التي منحهم إياها المخلص المسيح، ولا يقيّدوا أنفسهم من جديد بنير عبودية الناموس. وكشف أنه عندما يُختتن المؤمن أو يتطهر، فكأن خلاص المسيح لا يعود ينفعه.

وأضاف الرسول بولس في رسالته إلى المؤمنين في غلاطية قائلاً: "قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس سقطتم من النعمة. فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء بر." (غلاطية ٥: ٤ و٥) كما ذكرنا في اللقاء السابق فإن على المؤمن بالمسيح إما أن يلقي اعتماده بالكلية على نعمة الله وخلاص المسيح، أو يعمل بحسب شريعة الله. وتعبير آخر، لا يستطيع السير بالأمرين معاً، أي بالنعمة والناموس. وهذا ما أراد الرسول بولس التأكيد عليه مرة أخرى في هذه الآية المقدسة. فقال إن الذين يحاولون تبرير أنفسهم عن طريق تمسكهم بفرائض الناموس، فإنهم ينفصلون عن المسيح المخلص الوحيد، ويسقطون من النعمة. فعلى الإنسان أن يعتمد على نعمة الله بالمخلص المسيح، لكي ينال التبرير والخلاص. أما إذا أراد أن يسلك بالناموس لتبرير نفسه، فكأنه يرفض نعمة الله المقدمة له مجاناً، وكأنه يقول للمسيح لا حاجة لي إلى خلاصك.

لكن المؤمن الحقيقي بالمسيح الذي اعتمد بالكلية على نعمة الله أو هبته المجانية في خلاصه، فإنه يتوقع رجاء البر. أي يتوقع بثقة تلك اللحظة التي سيُعتق فيها جسده من الخطيئة بالتمام، ويُعطى فيها الجسد الممجد. إن المؤمن الحقيقي بالمسيح لا ينتظر ساعة الحساب ليرى إن كان الله سيغفر خطاياهم ويقبله، بل عنده هذا الرجاء الأكيد بالتبرير والخلاص، فهو عنده هذا اليقين أن الله قد أنعم عليه بهبة الخلاص. وهذا الرجاء يتوقعه المؤمن بواسطة الروح القدس الذي حلّ فيه، عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح. بينما الذي يريد الحصول على البر عن طريق حفظ الناموس، أو أعماله الصالحة، لن يكون عنده هذا الرجاء أبداً.

ثم تابع الرسول بولس حديثه قائلاً: "لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة." (غلاطية ٦:٥) أي أن الختان أو التطهير في الجسد لن يأتي بأية فائدة للمؤمن الحقيقي بالمسيح. وكذلك الغرلة أي عكس التطهير أو الختان، فإنها لن تجعل المؤمن بالمسيح في وضع أسوأ بالنسبة لقبول الله له. لكن ما يطلبه الله هو الإيمان العامل بالمحبة، الذي توفره للمؤمن بالمسيح نعمة الله المجانية. إن الإيمان الحقيقي، هو الثقة التامة بالله، والاعتماد الكامل عليه. وهذا الإيمان ليس إيماناً شكلياً أو لفظياً، ولكنه إيمان عملي، لا بد أن يتجلى بالمحبة الحقيقية نحو الله ونحو الناس.

إذن إن الذي يدفع المؤمن الحقيقي بالمسيح، لخدمة الآخرين ومساعدتهم هو الإيمان العامل بالمحبة. بينما تعجز فرائض الناموس، على حث المؤمن للسير بسلوك المحبة، إذ تبقى مجرد ممارسات خارجية وطقوس شكلية. وهذا بالضبط الذي قصده الرسول بولس هنا في هذه الآية المقدسة. إن نعمة الله المجانية عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح، هي التي تحرر الإنسان، وتجعله يسلك في طريق المحبة والصلاح، وليس بحفظه للشريعة.

وأضاف الرسول بولس قائلاً: "كنتم تسعون حسناً. فمن صدكم حتى لا تطوعوا للحق. هذه المطاوعة ليست من الذي دعاكم خميرة صغيرة تخمّر العجين كله." (غلاطية ٥:٧-٩) لقد بدأ المؤمنون في غلاطية بداية جيدة، لكنهم أخذوا ينخدعون بأقوال هؤلاء المعلمين المسيحيين من أصل يهودي، الذين دعواهم لكي يتقيدوا بالناموس. وقد أرادوا بذلك أن يبعدهم عن الحق، حق إنجيل نعمة الله. وهنا كشف لهم الرسول بولس مجدداً أن هذه المطاوعة، أي أن هذا التعليم ليس من الله الذي دعاهم لكي يصبحوا من أولاده. وهذا يؤكد أنه تعليم خاطئ وعليهم أن يرفضوه. ولقد شبه الرسول بولس هذا التعليم الخاطئ بعمل الخميرة. فإن خميرة صغيرة تضعها ربة المنزل في العجين، تخمّر العجين كله. وهكذا فإن هذا التعليم الفاسد إن لم يُضغ حداً له، سينتشر بين كل المؤمنين بالمسيح.

لكن الرسول بولس استدرك قائلاً: "ولكنني أتق بكم في الرب أنكم لا تفتكرون شيئاً آخر. ولكن الذي يزعجكم سيحمل الدينونة أي من كان." (غلاطية ٥:١٠) بالرغم من كل هذه التعاليم الفاسدة، التي حاول بها هؤلاء المعلمون من أصل يهودي، أن يخدعوا

المؤمنين في غلاطية، فلقد كانت لدى الرسول بولس ثقة في الرب أنهم سيرفضون هذه التعاليم أو يعودون عنها. لكن الرسول بولس في نفس الوقت أكد أن هؤلاء المعلمين الكذبة أيا كانوا، لابد أن يلقوا جزاءهم العادل من الله. إن المسألة في غاية الأهمية، وعلى كل من يعلم تعليماً خاطئاً، ويفسد كنيسة الله أن يحذر من العقاب.

وختم الرسول بولس هذا المقطع من الأصحاح الخامس من رسالته قائلا: "وأما أنا أيها الإخوة فإن كنت بعد أكرز بالختان فلماذا أضطهد بعد. إذاً عثرة الصليب قد بطلت. يا ليت الذين يقلقونكم يقطعون أيضاً." (غلاطية ٥: ١١ و ١٢) يبدو أن أولئك المعلمين الكذبة حاولوا الإدعاء أن الرسول بولس كان يبشر بضرورة الختان أو التطهير، وحفظ الناموس. فأجابهم أنه لو كان يبشر بالختان، فلماذا يُضطهد ويُحارب من قبل اليهود، أصحاب الناموس. وتكون بذلك عثرة الصليب قد بطلت أو انتهت.

هل تعلم صديقي المستمع، أن الكرازة بالصليب عثرة للناس؟ إذ يخبرهم أن لا قيمة لأعمالهم الصالحة، ومهما كانت كبيرة، للحصول على قبول الله ورضاه. بينما رسالة الصليب تعني، أن كل من يؤمن فقط، بموت المسيح البديلي عنه على الصليب، يهبه الله الغفران الكامل والحياة الروحية الجديدة والخلود. فهل تُراك تؤمن صديقي برسالة الصليب هذه، فتحصل على هبات الله العظمى وبركاته العديدة؟